مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٥: ١٢–٢٠)

في تلك الأيام جرت على أيدي الرسل آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعب. (وكانوا كلُّهم بنفس واحدة في رواقِ سُليمان* ولَم يكن أحدٌ من الآخرين يجترئُ أن يخالِطَهم لكن كان الشعبُ يُعظِّمُهم* وكان جماعاتٌ من رجالٍ ونساء ينضمّون بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب)* حتى إنّ الناسَ كانوا يخرجونَ بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونهم على فُرُش وأَسِرَّةٍ ليقعَ ولو ظِلُّ بُطرُسَ عند اجتيازه على بعض منهم* وكان يجتمع أيضاً إلى أورشليمَ جمهورُ المدنِ التي حولها يحملون مرضى ومُعذَّبينَ من أرواحٍ نجِسة. فكانوا يشفونَ جميعهم* فقامَ رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذينَ معهُ وهم من شيعةِ الصدُّوقيين وامتلأوا غَيرةً* فألقوا أيديهم على الرسلِ وجعلوهم في الحبسِ العام* ففتح ملاكُ الربِّ أبوابَ السِّجنِ ليلاً وأخرجهم وقال* أمضُوا وقِفوا في الهيكلِ وكلّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياة.

حول الرسالة

هذا المقطع من أعمال الرسل الذي يشكل رسالة اليوم، يعكس الجو العجائبي والخشوعي في كنيسة أورشليم. الأحداث الواردة فيه حصلت بعد حلول الروح القدس على الرسل، إلاّ أن قيامة الرب يسوع المسيح تبقى هي الحدث العجائبي الأساسي الذي تمّ بقوة الروح القدس.

يذكر الإنجيلي لوقا في مطلع الرسالة أنه جرى على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة.رسالة الرسل كانت من اللهوتتم بواسطة الروح القدس لكي يشهدوا لإيمانهم ويفتحوا باب الإيمان أمام المترددين والمشككين. كان الشعب شاهدًا على هذه العجائب كلّها وكان الرسل والمؤمنون «بنفس واحدة» «معاً» أي كانوا متحدينفي الرأي، في الإيمان، في نشر الكلمة وكذلك في الحياة المادية«وكانت عجائبُ وآياتٌ كثيرةٌ تُجرى على أيدي الرسل وجميعُ الذينَ آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كلُّ شيءٍ مشتركاً. والأملاكُ والمقتنياتُ كانوا يبيعونها ويقسِمونها بينَ الجميع كما يكونُ لكلِّ واحدٍ احتياجٌ. وكانوا كلَّ يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسِرونَ الخبزَ في البُيوتِ كانوا يتناولون الطعامَ بابتهاجٍ وبساطةِ قلبٍ...».

يتابع القديس لوقا: «أمَّا الآخرونَ فلم يكن أحدٌ منهم يجسر أن يلتصقَ بهم. لكن كان الشعب يعظّمهم». هذا يعني ان الرسل لم يعودوا مزدرى بهم كما في السابق، وقد أظهر الصيادون البسطاء في وقت قصير أعمالاً عجيبة. أضحت عندهم الأرض سماءً بسبب طريقة عيشهم وبسبب عجائبهم كلّها. لم يتراجعوا عن أي شيء البتة، لا أمام الهزء ولا التهديد ولا الأخطار كلّها. وكان الشعب يعظّمهم لا بسبب ذلك فقط بل أيضاً بسبب إحسانهم الكبير وبسبب عنايتهم بالناس. كانوا يساعدون البعض بالأموال وآخرين بشفاء الأجساد. لذلك يقول الرسول بولس: «يجب علينا نحن الأقوياءَ أن نحتملَ أضعافَ الضعفاءِ ولا نرضي أنفسنا» (رو ١٥:١) أي علينا أن نعمل أعمال الرحمة ونهتم بخلاص اخوتنا. ويضيف: «لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أنّ المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله».يتخذ بولس المسيحَ قدوةً ويطلب من الاخوة أن يكونوا واحداً في سبيل تمجيد الله.

«وكان جماعات من رجال ونساء ينضمّون بكثرة مؤمنين بالرب، حتى ان الناس كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرّة ليقع ولو ظل بطرس عند اجتيازه، على بعض منهم». لم يذكر القديس لوقا عدد المؤمنين الذين

العدد ٢٠٠٤/١٦

الأحد ١٨ نيسان

أحد توما الرسول

تذكار أبينا البار يوحنا تلميذ القديس غريغوريوس البانياسي إنجيل السَحَر الأول

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لمَّا كانت عشيَّةُ ذلكَ اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مغلقةٌ حيثُ كانَ التلاميذُ مجتمعينَ خوفاً من اليهود جاءَ يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَهُ. ففرح التلاميذُ حينَ أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلكَ أنا أرسِلكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خذوا الروحَ القدس* مَن غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت* أما توما أحدُ الإثنَيْ عَشَرَ الذي يقالُ لهُ التوأمُ فلم يكن معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ* فقال لهم إن لم أعاينْ أثرَ المساميرِ في يديهِ وأضعْ إصبعي في أثرِ المساميرِ وأضع يدي في جنبه لا أؤمن* وبعد ثمانية أيام كان تلاميذُه أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مغلقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هاتِ إصبعَكَ إلى هنا وعاينْ يديَّ وهاتِ يدَكَ وَضَعْها في جنبي ولا تكنْ غيرَ مؤمن بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال له يسوع: لأنكَ انضموا للرب بل يتكلَّم عن إيمان المتقدّمين إلى الرسل الذي يذكرنا بإيمان قائد المئة الذي طلب من يسوع أن يشفي غلامه بقوله كلمة واحدة. وهذا ما أكّده السيد عندما قال: «الحقَّ أقولُ لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (متى ٨:١٠). لا شك أن الشعب هنا دخل في حالة إيمان كإيمان قائد المئة. هذا الإيمان مع انفتاح القلوب والتهاب النفوس جعل الروح القدس، بواسطة الرسول بطرس، يُمارس سلطان المسيح الفائق على كل زمان ومكان. وهذا ما قاله المسيح نفسه: «الحقَّ أقولُ لكم من يؤمن بي فالأعمالُ التي أنا أعمَلها يعملُها هو أيضاً ويعمَلُ أعظم منها» (يو ١٤: ١٢). إذا كان ظل بطرس يشفي المرضى فكم تكون نعمة الشفاء هذه لعظامه ولبقايا القديسين الآخرين!! هذه هي قوة الروح القدس عندما يحل في الإنسان. ظلّ الرسول بطرس بحد ذاته لا يشفي لكن الروح القدس الذي يحمله الرسول أينما سار وأينما حلَّ هو الذي يمنح الشفاء. الإنسان الممتلئ من الروح القدس يعمل من بُعد. عندما كانت الشياطين ترى المسيح من بُعد كانت تصرخ «ما لنا ولكَ يا يسوعُ ابنَ اللهِ. أجئتَ إلى هنا قبل الوقتِ لتعذبنا» (متى ٨:٢٩).

أخيراً يقول القديس لوقا إن عجائب الرسل شاعت حتى ان أهالي المدن المجاورة لأورشليم بادروا إلى هناك حاملين المرضى والمعذبين من الشياطين وجميع الذين كانوا يتقدَّمون من الرسل «كانوا يشفون جميعهم» وبهذا تمّ قول الرب يسوع «يخرجون الشياطين باسمي... ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون» (مر ١٦: ١٧ و١٨).

عظة الفصح

«فيما كنا في يوم الخميس العظيم نتلو الأناجيل المقدّسة التي تسرد لنا آلام السيد، قرأنا في إنجيل يوحنا ان يسوع «قال أنا عطشان. وكان إناءٌ موضوعاً مملوءاً خلاً. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدّموها إلى فمه فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أُكمِل، ونكس رأسه وأسلم الروح» (يو ١٩: ٢٨–٣٠).

يسوع أتى إلينا ليتمم إرادة الله على الأرض، وهي إستعادة الإنسان الذي ابتعد عنه. لقد أرسل الله ابنه الوحيد ليكون لكل إنسان الصورةَ والقدوةَ، حتى نتشبّه به ونتعلّم منه ونستعيد بهاء الصورة الأول. بتجسده اتخذ يسوع كل ما لنا ما عدا الخطيئة. وقد تجسد ليعلّمنا الطاعة التي خسرناها بالمعصية ولكي يظهر لنا الحياة التي ترضي الله. الله صار إنساناً لكي يتعلّم الإنسان من يسوع كيف يحيا وكيف يمارس تفاصيل حياته بحسب مشيئة الله. تجسد الرب لكي يُزيل كل ما هو مؤذٍ فينا. أراد أن يصلب ويميت كل ما هو فاسد، وأن يحوّل الإنسان القديم إلى إنسان جديد، ناصع كالملاك الذي كان مثل البرق. أراد أن يُلبس الإنسان لباس العرس، اللباس الأبيض النقي.

لقد أرسل اللهُ ابنَه الوحيد «ليخلّص به العالم» و«لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية». جاء يسوع ليكمل رسالته كما قال لأبيه السماوي قبل أن يُسلم الروح: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته». وعندما قال له تلاميذه «يا معلم كُلْ قال لهم أنا لي طعامٌ لآكل لستم تعرفونه أنتم... طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله».

يسوع هو كلمة الله، والكلمة تعبّر عن جوهر المتكلّم. كلمتك تكشف قلبك وفكرك،تكشف داخلك. يسوع هو كلمة الله، هو «صورة الله غير المنظور». «هو بهاء مجده ورسم جوهره».هو الإعلان الإلهي. الله الآب لا يُرى: «الله لم يرَه أحدٌ قط. الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر». يسوع هو حكمة الله ونوره، هو قوة الله، هو الحياة والحق. «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاَّ بي... الذي رآني فقد رأى الآب».

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان

رأيتني آمنتَ، طوبى للذينَ لم يرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنعَ يسوعُ أمام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.

تأمل

إن جسد المسيح الذي يحوي في ذاته مصدر النور شعَ من هناك وأنار عقليًّا المرتاب حتى صرخ توما للحال بكلام لاهوتيّ «ربيّ وإلهي» فقال له الربّ: «لأنك رأيتني يا توما آمنتَ طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠:٢٩) مظهراً هكذا أن الذين عاينوا لا يكتسبون مجداً إضافيًّا بالنسبة للذين يؤمنون بالربّ دون أن يعاينوا...

... في الواقع إن توما عندما كان غائباً أصبح غيرَ مؤمن وعندما أتى مع الذين آمنوا عاد إلى الإيمان وبصورة أقوى. لذلك لديّ اعتقاد أن الإنسان الخاطئ إذا هرب من رفقة الجهلاء والتحق بالصدّيقين يعود حتماً إلى البرارة ويحصل على خلاص نفسه. لذلك يقول المزمور: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطأة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١:١). وفي مكان آخر

عند الله وإلهاً كان الكلمة. » يسوع هو الكائن. بسبب محبته أراد أن يعرّفنا على الله. وهذه المعرفة ليست عقلية بل وجودية. وقد علّمنا أنّ من أراد أن يحيا حياة تشع بالنور وبكل صلاح عليه أن يحيا حياته. فلكل من يسعى إلى العيش في الاستقامة، بدون التواء أقول: يسوع هو الحق. «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة..» «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

كلنا عبيد لخطايانا وشهواتنا ومآربنا لأننا في هذه الدنيا جياع وعطاش إلى كل شيء، لكن من كان في الرب لا يجوع ولا يعطش أبداً لأنه يرتوي من ماء الحياة. يسوع هو الحق ومن يعرف الحق يصبح حراً وكاملاً: «تعرفون الحق والحق يحرّركم». أبناء هذا الدهر لن يعرفوا الحق إلا إذا عرفوا الله.

عندما قال بيلاطس ليسوع «أفأنتَ إذاً مَلِك. أجاب يسوع أنت تقول اني ملك. لهذا قد ولدتُ أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي». هذا القول دينونة لكل واحد منا. إن كنتُ لا أعيش بالحق فأنا لا أستطيع أن أسمع الله. الله لا يكلّمني إلا إذا حييتُ بالحق. عندما قال يسوع أنا جئت أشهد للحق، سأله بيلاطس: ما هو الحق.بسؤاله هذا كان الوالي بيلاطس كأي بيلاطس في هذا الدهر يسخر من يسوع. الولاة لا يعرفون الحق الإلهي. كلٌّ منهم له حقه. عندما سمع يسوع سؤال بيلاطس وعى حقيقة مرَّة وصَمَت. بيلاطس لم يكن يطرح سؤالاً ولم يكن ينتظر جواباً. أراد أن يقول ليسوع كفانا كلامُ مثاليات. أنت تكلّمني بالحق؟ ما هو الحق؟ السذّج والبسطاء يتكلّمون بالحق. الحق أنا أقرّره. لذلك صَمَت يسوع. عندما تقف أمام إنسان لا يدرك ما هو الحق لا يمكنك أن تحادثه بأي كلام ذي قيمة، لأنه إن كان لا يستطيع فهم ما هو الحق فهو لن يفهم شيئاً.

يسوع هو صورة الله غير المنظور. المسيح أَعلن سرَّ الله. والله محبة. لذلك كل ما قام به يسوع كان محبة مطلقة. يسوع، الأقنوم المتجسد، أعلن سر الله للناس وخلاصة هذا السر المحبة التي قَبِلَتْ أن تُصلب. وسر الله فيّ أنا الإنسان أن أرى الإنسان الآخر وأن أرفعه إلى الله مهما تألّمت.

في هذا اليوم الذي نعيّد فيه للقدرة الإلهية، للعزة الإلهية، يدعونا الله بواسطة ابنه الوحيد يسوع المسيح أن نكون صورة المسيح كما المسيح صورة الله. وكلمة الله في المسيح لا تنقل بل تعاش. الدعوة موجهة إلى كل إنسان يعتبر نفسه مؤمناً، أن يكون صورة الله في هذا العالم أي أن يتصرّف كما يشاء الله وأن يفكر ويعمل كما يليق بالله. هذا يدعوني إلى الإشارة إلى ما يحصل في بلدنا الذي بورك من الله بالإيمان لأننا نحن ساكنيه مؤمنون أو هكذا يدّعي كلٌّ منا. اللبنانيون في المبدأ مؤمنون وينتمي كلٌّ منهم إلى دين يُذكر على بطاقة هويته وإلى تيار إيماني. كلنا نعرف ان البطاقة اللبنانية لا تحمل كلمة ملحد. والمؤمن يحيا المحبة.

يؤلمني ما أسمعه هذه الأيام من بعض الذين يصنّفون الناس بحسب العدد، وهؤلاء يكونون من المنغلقين. أريد أن أؤكد، انطلاقاً من إيماني، أن كل إنسان هو أخٌ لي وأن المحبة له واجبة، تتدفق مني عليه. أقول هذا لأني أخاف على وطني وعلى مدينتي إن أصبحنا نفرز الناس فرزاً. الحيوانات تُفرز لا البشر. وإذا فكّر أحدنا بالعدد فهذا لا يعني ديمقراطية. وإذا كانت الديمقراطية كما هو حاصلٌ في العراق فبئس الديمقراطية. وإذا كانت كما يحصل في فلسطين فلنُقِمْ مناحة على الديمقراطيات. الأنظمة لخدمة الإنسان وليس الإنسان لخدمة الأنظمة. كل إنسان ذو قيمة بذاته ولا تُنتقص قيمته إذا كان من جماعة عددها ضئيل. إذا وُجد إنسانٌ عظيم بين خمسة أشخاص ألا يبقى عظيماً؟ وإذا وُجد آخرُ لا يفهم بين ألفٍ من البشر هل يتحسن فهمه؟ أليس ما أقوله منطقياً؟ وإذا كان عدد جماعة ما كبيراً فهل يكونون أكثر فهماً

يقول: «لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشرّ» (خروج ٢٣: ٢) وأيضاً «في معشر الخطأة سوف تحترق ومع الحكماء تكون حكيماً» (سيراخ ٧:١٦).

لذلك أيها الإخوة لنجتمع معاً ونزور دوماً كنيسة الله لأن المؤمن لا يتغيّب عن الكنيسة. وعندما يدخل الواحد إليها لينتبه إلى الأتقياء كيف يقفون بورع، بانتباه وصمت. ليقتدِ بهؤلاء أكثر من غيرهم وينتسب إليهم ويشترك معهم.

وإن صدف وجئنا أيضاً نهار الأحد مساءً لنجهد أن نقتدي بالرسل الذين بقوا بازدياد في هذا البيت والأبواب مغلقة متّصلين بالربّ عن طريق الصلاة والترتيل بهدوء وكأنهم في كورة سماويّة فيها قوّة الروح الإلهي المقدّسة... عندها وبصورة غير منظورة سوف يأتي إلينا المسيح ويمنحنا السلام إلى داخل النفس ويزيدنا إيماناً ويشدّدنا ويجعلنا مستحقّين لملكوته.

لنحظَ بهذا الملكوت باسم ربّنا يسوع المسيح الذي مات وقام وسوف يأتي بمجد لأنه له ينبغي المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأشد ذكاءً من غيرهم؟ هل العدد هو المهم؟ إذا كنا سنعتمد هذا المنطق علينا أن نطلب من الناس أن يكثّروا ذريتهم ليكونوا كلهم عباقرة! من يفكرون هكذا يضعون إيمانهم جانباً لأن تعاليم الله مغايرة لهذا التفكير ولأن كل إنسان عزيز في عيني الله. الله علّمنا ان كل إنسان فريد وله مكانته لدى الله، لذلك رأينا يسوع يترك الجميع ليبحث عن الخروف الضال، عن الإنسان الذي ابتعد عن الله، بغية إرجاعه.

من يعتمد على العدد يرى البشر أعداداً لا أشخاصاً. الغنم تُعَدّ وتُساق. الأغنام لا تقود بل تحتاج إلى من يقودها. نحن نرجو أن يرى كلٌّ منا الآخر إنساناً عظيماً ومهمًّا وفريداً.

هناك من يتهمني أني طائفي. إن كانت الطائفية تعني الإنغلاق ورفض الآخر فأنا أكرهها وكنيستي ترفضها. ولكن إذا كنا نعيش في هذا الوطن جماعات، ألا تفرض المحبة ان ترى كلُّ جماعة أن الجماعة الأخرى موجودة وهي شريكة في ما يُسمى الوطن؟ من هذا المكان المقدس أعلن اننا نتمنى العلمانية السياسية قبل أي جماعة أخرى وتاريخنا يظهر هذه الحقيقة. نحن نتمنى أن يُقَيَّمَ الإنسان بحسب ما له من الكفاءة والمواهب لا بحسب عدد جماعته. فإذا كانت لأحدهم، كائناً من كان، المواهب والفضائل، فعلينا أن نراها ونثمرّها بغض النظر عن انتمائه. ولكن إن كان الجميع يفتشون عن مصالح طوائفهم فلِمَ أُلامُ إن اهتممتُ بأبنائي؟

المؤسف في أيامنا ان الموضة للبوسطات والمحادل. والناس يُساقون لأن الجالسين في البوسطات لا يفكرون، وفي معظم الأحيان يغلبهم النعاس، فيفكّر عنهم سائق البوسطة ويقودهم. والمصيبة الكبرى ان كل ركاب البوسطات في هذه الأيام نعاسٌ ومقودين.

ما أريد التشديد عليه اليوم ان على من يحب الله ويستلهمه أن يحب الإنسان كائناً من كان. يكفي انه يحمل هوية إنسان. عندما أرى إنساناً يرافق كلبه لقضاء حاجته أتساءل هل يهتم الإنسان بالإنسان كما يهتم بالحيوان؟ المحبة تفرض علينا أن نحب كل إنسان لأنه مخلوقُ الله وعلى صورته.

أنا أدعو أبناءنا أن يتشبهوا بالمسيح وأن يحبّوا كما أحبّهم هو. وتعليمه كان واضحاً: ’وصية جديدة أنا أعطيكم، أن تحبّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌ بعضاً لبعض‘ (يو ١٣: ٣٤-٣٥). يسوع أحبّنا بلا حساب حتى انه بذل نفسه عنا، فهل لأحد حبٌ أعظم من هذا، أن يضع نفسه لأجل أحبائه؟ (يو ١٥: ١٢-١٣).

فلنعيّد يا أحبة، ولنرنّم ونسبّح ولنتلُ آيات الإنجيل عالمين ان ما يميّز العهد الجديد عن القديم أن البشر في العهد القديم كانوا يخضعون للشريعة ويتمسكون بالحرف بينما أصبحوا في العهد الجديد يحيون حياةَ إلهٍ تجسد هو المسيح يسوع ربنا. ونحن جماعة تتمنى أن تحيا يسوع المسيح في أعماقها وفي كل كيانها وأن تظهره في حياتها.

لا تخف أيها القطيع الصغير لأن ربّنا انتصر على الموت وقام وقال لنا: ’ثقوا، أنا قد غلبت العالم‘ (يو ١٦: ٣٣). فإن شئتم أن تكونوا مسيحيين حقيقيين عليكم أن تعيشوا حياة المسيح، أن تتمثلوا تعاليمه وتتخذوه مثالاً لكي إذا ما رآكم إنسان يمجد الله.

الله محبة، والمسيحية، مهما ظهر فيها من ضعفات بسبب المنتمين إليها، هي دين المحبة وحسب، ومن لا يحب لا يعرف الله.

حفظكم الرب الإله المنتصر على الموت وبارك حياتكم وجعلكم له رسلاً يُظهرُ مجدَه من خلالكم. آمين